أصول الشخصية الحضارية

في الشمال السوري

(شخصية إبلا الحضارية)

للمؤرخ فايز قوصرة/ سورية-ادلب

أولاً- تعريف بالمصطلحات :

لا يختلف أي دارس لمجتمع في إبداء القول إن معايير الشخصية تختلف باختلاف المجتمعات...

ونحن الباحثين في أصولنا الحضارية، علينا البحث عن مثل هذه المعايير، فليس التاريخ هو صراع وقتال بين الحكام، أو تماثيل جميلة نسلط الأضواء عليها فقط.. بل هو تراث ممتد عبر العصور...يعيش بين عاداتنا وتقاليدنا، أو في تراثنا الشفاهي، يومياً نحن نعيش هذا التاريخ...هذا ما تهدف إليه هذا البحث مؤكدين إن هذا الامتداد الزمني الطويل والعريق عبر خمسة آلاف عام، قد كونت فيه أسس شخصيتنا الحضارية فماذا نقصد بالشخصية هنا**!؟**هناك تعريف نفسي للشخصية يقول ((هي ما يسمح بالتنبؤ بما سيفعله الفرد يوما ما في وضعية محددة)) ولكن التعريف الحضاري لها أشمل وأوسع (بحيث تقاس من خلال التعامل مع الغرباء عن واقعنا بما يسمى شخصية المكانة بالإضافة إلى الشخصية الاساسية لتدمج به دمجاً كاملاً...)

كما ينبغي لنا التفريق بين معرفة نظام معين من نظم القيمة والموقف، وبين المشاركة في مثل هذا النظام... فلكل مجتمع نموذج خاص للشخصية الأساسية، ومجموعة خاصة من شخصيات المكانة تختلف من بعض النواحي عن مجموعات المجتمعات الأخرى...ونصل الى القول: إن معايير الشخصية تختلف باختلاف المجتمعات والحضارات بحيث نرجع إلى القول يجب اعتبار الحضارة العامل السائد في تقرير نماذج الشخصية الاساسية لمختلف المجتمعات.

فما هي الحضارة ؟ هي خلاصة المكتسبات والإنجازات الإنسانية، تختلف باختلاف المراحل التاريخية... إن عالم الاجتماع يأتي ليعمم بعد ملاحظته سلسلة من الحضارات والمقارنة بينها ..وللدلالة على طريقة الحياة التي يتبعها مجتمع معين، وليصل إلى القول (هي الأرث الاجتماعي لأعضاء المجتمع) وتشمل الحضارة على حضارتين ،الظاهرة وهي عامل رئيسي في النقل، والمستترة، وهي الحالة النفسية والتي نسلط الأضواء عليها هنا، من خلال الأنماط المثالية التي اكتسبها أبناؤنا من أسلافنا في إبلا وغيرها. ومن هذه الأنماط المثالية "اللغة" والتي هي أحد الإنجازات في حضارتنا.. وسنركز الحديث عن أصولها في حضارة الشمال السوري.

يقول العالم النفسي سكنر (الإنسان أسير أفكار بيئته ، تماماً كما أن الحيوان أسير عادته) .

لذلك سنتطرق أيضاً إلى الحديث عن الأدب والأساطير والمعتقدات في تاريخنا القديم ، لنصل إلى القول إنها مازالت حية في سلوكنا اليومي وعاداتنا الاجتماعية...

* *

ثانياً – من نحن ؟ هذا السؤال كان يوجه إلي في زياراتي لأوروبا ، وخاصة مع الأصوليين مهما اختلفت اتجاهاتهم.. كانت إجابتي—من انتم أولاً؟ لأجيبكم من نحن ؟ وكنت أقف في موقع المهاجم قائلا : إن جذور وأصول حضارتكم ليست من بلادكم، بل من أرضنا في سورية – طبعاً لا أقصد سورية الحالية بل سوريا القديمة والتي تشمل جنوب الأناضول ولبنان وفلسطين والأردن- من أبجديتنا إلى طبنا كان لنا قبل أن يكون لكم .. ومعتقداتنا أثرت في معتقداتكم وليس العكس ، فالمسيح نحن أعطيناكم إياه ، فهو ابن حضارتنا وليس ابن حضارتكم القائمة على الأطماع

والاستغلال، هو رسول المحبة والسلام ، وليس التدمير كما فعلتم في الحروب الصليبية والاستعمار الحديث ..

لندع لهجة الخطاب ، إلى لهجة التوقف مع الذات ، بشكل موضوعي من نحن إذن ..؟ سؤال ينبغي الإجابة عليه من كل منّا، حسب أنماطه المثالية التي تلقاها عبر العصور في تراث حضاري مكتسب ! يمكن القول :نحن أحفاد هؤلاء الأسلاف في إبلا وماري و ألالاخ و يمحاض واوغاريت و أنطاكية

* *

هذا البحث حين بدأت في كتابته منذ سنوات، كان الهدف منه تبيان الأسس القديمة لشخصيتنا الحضارية، بأسلوب علمي منهجي، بعيداً عن الإيديولوجية المسبقة، لكن بعد الإطلاع على دراسات الآخرين، والمشاركة في ندوات جامعية، والتواصل الثقافي معهم، تبين خطأ المقولة الشائعة في تحديد كلمة (العرب) على عرب الجزيرة أو عرب الحجاز بالذات، وكأن الشمال السوري ليسوا عرباً، وأن اللغة العربية قد كان مهدها الجزيرة العربية، أو جنوبها، وأن منطقتنا لم تكن عربية، حتى جاء الإسلام فعربها، أو تعربت عبر الزمن !!

((هذا التعرّب مصطلح آخر جرّ إلى مشكلات عديدة، فإن مجرد قبول فكرة التعرّب (الذاتي) أو التعريب (المفروض) يعني التسليم بأن هذا الشعب أو ذاك لم يكن (عربياً) أو يمت إلى العروبة بسبب، وما نقوله بوضوح: هو أن هذه الشعوب لم تتعرب، ولكنها كانت عربية أصلاً، بلْ هي أكثر عروبة من عرب الحجاز أنفسهم[1])). وأقدم نص عثر فيه على كلمة عربي في الأكاديّة = اريبو = بتعاقب العين والهمزة يرجع إلى أواخر القرن السابع قبل الميلاد. وإن الجزيرة العربية كانت تستقبل المهاجرين إليها من الشمال ومن الجنوب، بل من الغرب أيضاً .. نحن نفضل تسمية سكان هذا الوطن – المعروف بحدوده الآن باسم العروبيين[2]. والجذر يظل (ع ر ب) ومنه العروبة والعروبية، وليس العربية التي باتت تدلّ على أهل الجزيرة عند معظم الباحثين. لذلك يمكن القول إنّ سكان إبلا حين هاجروا بعد زوال نفوذها في النصف الثاني من الألف الثانية ق.م قد نقلوا معهم إرثهم الثقافي، وعلى الأخص اللغة والدين، ولو تمعنا قليلاً – وكما سيرد – في أصولها الحضارية لوجدنا أنها كانت عروبية، وامتدت إلى أوغاريت، فمن الشمال ((كانت هجرات إلى شمال أفريقيا (ربما تجاوزت الدلتا لاكتظاظ هذه المنطقة بالسكان منذ القديم – كما يذكر أبو التاريخ هيرودوت – أشهرها من أنشأ (قرطاجة) وهي تعني: قرت – حرش = القرية الحديثة (أوغاريت الجديدة) إحياء لذكرى قرت (أوغاريت) العاصمة الكنعانية على ساحل الشام[3])) .وظل اسم قرتا – نيكرتاي يرد في العهدين الروماني والبيزنطي، في أسماء الكثير من قرى المنطقة، كـ (بسرمين قرتا)[4] في وثيقة سريانية عام ٥٦٩م[5]، وما زال اسم قرت في مصدره الأوغاريتي سائداً حتى الآن باسمه العربي قرية. إنّ شخصية أمتنا لمْ تأت من فراغ، ونحن لا نتفق مع القوميين الذين برروا وجود أمتنا كإرادة عاطفية، أو هي بنت عهدها، أي النزعة القومية التي سادت في القرنين التاسع عشر والعشرين، أو كرد فعل للحكم العثماني في المنطقة.. بل نحن نؤكد من خلال الدراسات الأثرية أن الوحدة الثقافية للمنطقة هي كائنة منذ القديم في مجالي الدين واللغة، وهما عماد تكوين الأمة.

---

[1] –هذا الرأي للدكتور علي فهمي خُشيم الذي تعرفت عليه في ليبيا، أستاذ التفسير في جامعة طرابلس، رئيس مجمع اللغة العربية. أنظر مجلة الوحدة العدد ٤٢ آذار ١٩٧٧ ص٧٤–

[2] –نفس المرجع السابق الصفحة ٧٨

[3] – نفس المرجع السابق ص ٧٨

[4] –سرمين : بلدة تقع شرق ادلب

[5] –انظر كتابنا من إبلا إلى ادلب ص١٥٦

*   *

ثالثاً – اللغة: في حياتنا وفي النصوص الإبلائية ، هي قديمة جديدة، ومن المغالطات التي وقع فيها الكثيرون أن سكان هذه المنطقة أو هذا الوطن، قد تكلموا لغات مختلفة، حتى جاء الفتح الإسلامي فتعربوا، فالإسلام قد عرب غير المعرب، وما كلمة عربي تعني قومي أو عرقي، بل بيّن، جليّ . وقد آن الأوان للقول: إنّ وصف عربي يمكن أن يطلق على أي لسان بالمعنى (الواضح – البين).

"ومن الخطأ إذا قصر صفة عربي على لسان أهل الجزيرة أو بالتحديد منطقة الحجاز ونجد. فلغة تلك المنطقة – في الحقيقة – ليست سوى لهجة من اللهجات العروبية... ولغة القرآن الكريم ذاتها كانت جماع لهجات مختلفة، أصبحت اللغة المشتركة أي اللغة الفصحى.. فلو ظهر النبي محمد(ص)في اليمن لكانت الحميرية هي اللغة الفصحى[٦]" ونقول أيضاً: لو ظهر في إبلا لكانت الإبلائية هي اللغة العربية الفصحى، أو اللسان العربي المبين.

وما هي لغة إبلا؟ هل هي لغة أم لهجة ! كلّ يدلي برأيه، مع أن "كلمة لهجة لا تختلف عن اللغة، فالجذر لهج (ومنه: لهجة = الجذر لغا ومنه لغة) فاللهجة واللغة اصطلاحاً شيء واحد. وابن منظور يستعمل لغة هذيل، ولغة حمير، ولغة الحجاز، وهو يعني لهجة. لكن الدلالة تطورت حديثا بحيث صارت كلمة (لغة) تساوي (لسان)، القرآن لم يستعمل لغة مطلقاً بل استعمل: لسان، وكلمة لهجة تدل على فرع من اللغة يختلف قليلاً أو كثيراً عن اللغة (الأم). لتطورات وأسباب عديدة[٧].




معجم إبلائي


رقيم من إبلا

إن النقوش الأثرية وكتاباتها، توضح هذه المسألة التي لم يعرها علماء اللغة العربية كثيرا، وكأن المكتشفات الأثرية لا تعنيهم في شيء، لذلك نطالب مجامع اللغة العربية بفتح قسم فيها للدراسات اللغوية القديمة، ووضع معاجم لها، فهي عروبية سواء كانت في مصر أو في الشام "نحن نسميها اللغة العروبية الأولى ،وهي تشمل لغات الرافدين والشام، والجزيرة، ووادي النيل، والشمال الافريقي، والحبشة، وتؤثر في لغات أفريقية وآسيوية كثيرة جداً. هذه اللغة العروبية الأولى هي التي وحدت الوطن العربي في القديم، ربما قبل عصر الهجرات[٨]"

---

٦ –خشيم نفس المرجع ص٨١

٧ – خشيم نفس المرجع ص٨١–٨٢

٨ – خشيم نفس المرجع ص٨٢

وأما مصطلح (لغة الضاد) وأن مصدره الجزيرة العربية لم يعد مقبولا الآن بعد اكتشاف إبلا، إذ تبين لكل مطلع على نصوص إبلا ومفرداتها، وجود حرف الضاد فيها، وأكد هذا الرأي الباحث حميدو حمادة أمين لوحات إبلا سابقا والدارس للغة ماري وإبلا ، مؤكدا أن لغة الضاد ليست هي اللغة العربية المتأصلة في الجزيرة العربية، طالبا إعادة النظر في هذا المفهوم السائد، خاصة بعد العثور على وثائق كتابية كثيرة في إبلا وأوغاريت وبلاد سومر وأكاد... ولكن أهمها هي إبلا في بعض مفرداتها كـ (ضار شتم و ضِرْشُ = ضرس، وكلمة وضوء عندهم = وَضاؤُمْ أو وَضوؤُ ، وهذا دليل

	الشرح :
أصمِدُ خبجي أصمِدُ السانم ، أصمِدُ دخر سينم، اصمدك عل ابنيم صلميم علْ زيدان أمان اصمدك على زنبات شمش لابنُم يلبَن ، لبتَّم علَّ بابي إنليل أبي إيلي وكبْكَبْ "	الشاعر يريد لنفسه بأن تنذر ليوضع أمام محبوبته كل خوافي نفسه ومشاعره، كل تعابيره الشعرية وكل ما ادخره من قوت لأيام شدته . إنه سينحت تمثالاً من الصخر الأسود وسيضعه في مكان مرتفع ، وسينقش اسمه على فؤوس المحاربين وسيكتب على بابي الاله إنليل عبارات التمجيد ، وعلى أذيال الشمس ، سيذكر هذا المحبوب ، سيقدم الأضاحي سبعة رجال وسبع إماء في كل شهر وسيطلى بالبياض كل أبواب المدينة ولبنات الأسوار ، ولن ينغص محبوبه ... ولتكن روحها عالية في السماء ، فهي أسمى النساء

على أنهم كانوا يعرفون الوضوء، وكلمة عِضُّ عندهم عِضَّ = عضُّ البان = غصن البان، وكلمة مَخَّضَ عندهم مَخّاضو وفي الأكادية مَخّاضُو، وكلمة حامض عندهم حَامِضُو. إذا حرف الضاد عندهم موجود، وفي الأكادية القديمة تحول إلى الصاد. وتبين قرابة لغة إبلا هي الأكثر إلى العربية من حيث الأصوات والمفردات، وأكثر انسجاماً مع أكادية ما قبل (سر جن) - الزعيم الأكادي الكبير- من حيث الكتابة والقواعد، وهي تشكل مع الأوغاريتية والعربية الجيل الأول والأقرب للغة أطلق عليها اصطلاحا (اللغة السامية الأم) ونحن نبدله بمصطلح (لغة إبلا هي اللغة العروبية الأم)

* *

رابعاً- نصوص إبلائية .. قديمة جديدة : إن النصوص الأدبية المكتشفة فيها ذات طابع إيماني -ف إبلا عرفت التوحيد قبل مصر وكما سيرد ... إن ما يسمى بنصوص الحكم التي تربط الفلكلور والأمثال والنصائح السياسية، ونصائح الزواج وغيرها والمدونة في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد من أهمها أنشودة النجوم في إبلا القصر الملكي تبين بعد دراستها من باحثين عرب ، مدى صلتها بالأدب والنحو العربي ..تبدأ الأنشودة :

لو تمعنا قليلا لوجدنا فيها قافية شعرية – وأما الأفعال :

أصْمِدُ

اصمدك كلها أفعال مضارعة

يلّبن أكادية عربية

ينخص

ظاهرة المثنى :

(عل بابى انليل) قد انقرضت في اللغات " السامية " بل العروبية برأينا التي سادت في الألف الأول قبل الميلاد لكنها في لغة إبلا والعربية لغتنا اليوم ... مازالت موجودة حتى الآن لماذا ؟!

ولعل قصيدة " أنشودة النجوم " لو أجرينا تحليلاً اجتماعياً لها لوجدنا الشاعر سينحت تمثالاً من الصخر الأسود لحبيبته لماذا ؟!

السواد دليل الحزن وحتى الآن نستخدم القماش الأسود في هذه المناسبة ... ورقم /٧/ ما زال يستخدم بالأسبوعية – سبعة أيام – أسبوع الولد ... وتقديم الأضحيات من شعائرنا وعاداتنا ! وحتى الآن نخاطب الحبيبة أنت قمري أو شمس حياتي نشبهها باسم كوكب السماء . وتعني كلمة (كبب) في القصيدة الإله كوكب وهو مسجل في حياتنا حتى الآن كمواقع في جبل الزاوية قرية كوكبا الأثرية وفي جبل سمعان وفي جبل كوكب قرب مدينة الحسكة وفي أسماء نسائنا كـ كوكب الشرق أم كلثوم ومن القصائد المترجمةمباشرة النص التالي:

حيا يرأم اليرحم

اليرحم ابن عشتر قائم في المحراب

ببخور المر يتجلّى

البتولتان الحسناوتان ستشفعتا

وردتا الكرم وصدرتا

في كرم بخور المرّ طيّب وذّك

أخذت فاكِ ذا الرقة ،

أخذت عينيك الزرقاوين ،

أخذت حرك ذا الثنية.

ألستم معي أن هذه القصيدة الغزلية تضاهي غزليات كثير من الشعراء، وعلى رأسهم نزار قباني، في التغزل بالعيون الزرق والشفاه الحارة، والجسد الغض، والرائحة الطيبة.

* * *

لننتقل إلى اللغة الإبلائية وبعض مفرداتها ماذا سنجد ... اسمعوا معي:

إبلائي	عربي	إبلائي	عربي
شرشوم	شرش	أخاتوم	أخت
اخيرتوم	الأخير الباقي	اوموم	أم
بيتوم	بيت	ناس	ناس أنس
إبلائي	عربي	إبلائي	عربي
ملكتوم	ملكة	عيئوم	عين
ملكوم	ملك	حيوم	يعيش حياة
ككابوتوم	كوكب	ظبيتوم	ظبية غزالة
	صبّ وحتى الآن نقول (البوتنجي)	بعلو	سيد- مالك حتى الآن

زوزوباتوم	عندنا أي الذي يصب البيتوم فتأمل وكذلك اسم زوزو لكثير من النساء والرجال كـ زوزو نبيل الممثلة المصرية الشهيرة وتعني صب أي صبابة = جميلة		نقول عن الزوجة بعلتي أي سيدتي
عينان	عينان	تنو	تين
مخوم	مخ	رِئش	رأس
شعراتوم	شعر	مشطوم	مشط
يدْين	يدان	حامضوم	حامض
أخوم	أخ	سمنوم	سمن
أخوتوم	أخوه	سمنو	دهن – زيت ومازلنا نقول (سمنو) أي أصله سميناً
طابوم	طاب طيب	يومو	أيام وفي العامية بالأعراس (اليوم يومو) ومرادها واضح
جمالوم	جميل – ودود	أرزاتوم	شجرة الأرز
وزاتوم	وزن	بدّالوم	بدل / تاجر
سمانوم طابوم	سمن طيب	شقيلوم	ثقيل
ملكوم	ملك حكم	هلاكوم	هلك

سيدهش كل مطلع على لغة إبلا لهذا التقارب الشديد والعربية وفي آخر لقاء لي مع البروفسور آركي دارس الرقم الإبلائية ، وبعد حوار طويل وساخن مؤكداً له أن لغة إبلا ما زالت حية في نفوسنا من خلال التراث الشعبي – ولهجتنا الدارجة وأسماء المواقع والعائلات والعادات البيتية والدينية المتوارثة عنهم بكل تأكيد !

ومن المفردات في إبلا ناس عندهم ناسي: وأنتم نلفظها بالعامية انتو وفي لغة إبلا انتانو ومع الزمن صرنا نلفظها انتو. وفي البيع والشراء نقول: مابدنا نراعي حدا أي لا نتساهل مع أحد في البيع والشراء، وفي لغة إبلا كانوا يقولون (راعينا هدّا) يقصدون راعينا هدد أي الإله هدد حامينا، ونلتجئ إليه نطلب الاستقامة معه، وهو معنى قريب لما هو شائع بيننا اليوم. كذلك نقول عن الماء الساخن أو الحار (المي حيمي أم لا؟) وفي لغة إبلا **ماؤ أمتوم (ماؤحمّوتوم)** ونقول مي لإيديّ أي ماء ليداي وعندهم **ماؤإدا** للمفرد **ماؤيْداين** للمثنى، وتين عندهم **تينّوم**، ونقول اسمعو وعندهم **سمعوم** أي يسمع، ونقول اصبعو بدلاً من إصبعه وعندهم **اصبعوم**، وعينو عندهم **عينوم**، وضهرو عندهم **ظهروم**، وهكذا الكثير. يقولون **أكالوم** = يأكل. **عظموم** = عضمو عندنا في العامية بدلاً من عظمه أي حذفت الميم وهي مثل التنوين عندنا، تأكد لنا أننا في مفرداتنا العامية نتحدث لغة إبلا. وفي لهجتنا نحذف هاء الغائب بدلاً من قولنا يمينه نقول يمينو، وعندهم يمين تلفظ يمينوم ، ونلفظ سلوك الزذيل بكلمة : ما ارذلو**!** وعندهم **أرذالوم**.. وعن البيعة أو الدير يقولون بيْأتوم ، وفعل طحن عندهم طحاتوم، ونحن إلى اليوم نقول بالعامية طحنتوبدلاً من: هل طحنتم، ونقول بالعامية مينو هادا أي : من هو أو ماذا، وعندهم مينو=ماذا. كل هذا لم يتنبه له الباحثون الأجانب، لعدم إطلاعهم على جذور اللغة العامية، بل يترجم النص الإبلائي مباشرة إلى اللاتينية ثم لغة أخرى ثم إلى العربية.

ومن الأوزان عندهم (**شيقل**) ونحن نردد كلمة شقلي. وفي احدى الرسائل عبارة (زيت نوع أول) حتى الآن نستخدم مفهوم نوع أول.

في لغتنا العامية الدارجة نخاطب زوجاتنا بـ (احمى المى) وفي لغة إبلا (ماءتوم حماتوم)... ومن ألقاب العاملين في التجارة عندهم (لوكار – و- بدَلوم) وما زلنا نحن نستعمل في معاملاتنا مع الآخرين كلمة (بدّل) أو نسأل الشخص عن مهنته بقولنا (شو كارك – أو مالو كار). الكثير ... الكثير ... ويطول الحديث لذا ندعو علماء اللغة العربية والمجامع الى الاهتمام بلغة إبلا فهي أصل العربية ، وليس مصطلح السامية والذي أصبح غريباً عنا .. لذلك نفضل إطلاق اسم اللغة العربية القديمة أو اللغة العروبية على لغة إبلا، وليس إحدى اللهجات السامية ...

واكد هذا (ماتييه) رئيس البعثة الايطالية في إبلا " إن لغة إبلا المحكية من العائلات العربية القديمة والقيسيه الآرامية والفينيقية وبجانب السومرية والهيروغليفية وفي لقائي الأخير معه في إحدى الندوات قائلاً له " ألا يمكن اعتبار لهجة إبلا إحدى لهجات العربية القديمة ؟**!** أجاب : " يمكن ذلك "

أليس هذا إثبات آخر على أن لغة إبلا ما زالت حيّة في نفوسنا**!**. إذن بدون دعاية نحن حقاً أحفاد أسلافنا الأوائل في إبلا.

* *

خامساً - المعتقدات والعادات :

في إبلا قدر عدد الآلهة /١٠ / إله وآلهة ، وفيها معابد كثيرة حتى الآن سميت مدينة المعابد ، ليس في العاصمة بل فيما جاورها من مواقع .



إبلا- معبد عشتار ١٧٠٠ق.م

إن الآلهة **عشارة** = ربة القمح هي عشتار عند الجميع ولكن في لغة إبلا (ش – ها – را) وبرأي ما زال هذا الاسم محفوظاً في معاملاتنا حين نقول اشهار عقاري أو الشهر العقاري وهذا الاسم ما زال محفوظاً في مصر ..

أي العقار سيبارك بتسجيله وسيدر علينا الخير وهذا مضمون ومعنى اسم هذه الآلهة بل لانبالغ إذا قلنا إن كلمة شهر هي في أصلها من اسم هذه الآلهة فتأمل **!**

واما الآلهة **رشف (آلهة الساقية)** فهي من الآلهة الرئيسه ، وكان لها بلدة خاصة تعبد فيها ، وقد وجدت مؤخراً في منجد اللغة العربية مايلي : " حوض رشف " أي لاماء فيه - رشف – أرشف الماء بالغ في مصه ، ولانبالغ في قولنا إن كلمة أرشيف الأجنبية هي في أصلها من إبلا ففيها نفس المعنى الحفظ والزيادة في الحرص كما في المنجد

الإله دجن: في إبلا هو الإله **داجون** عند الكنعانيين، وهو إله الحبوب، وما زلنا نستعمل كلمة دواجن على الطيور التي تأكل الحبوب.



إبلا -معبد رشف-١٧٠٠ق.م

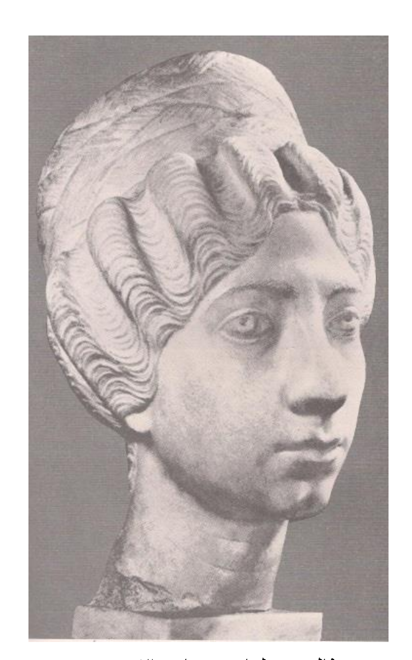
واما الآلهة الشمسية **زيس – سيبش** وفي لغة اوغاريت **شاباش** ما زال هذا الاسم محفوظاً في مدينة **سيبش** في رومانيا وتعني **مدينة الشمس** وهذا دليل على تأثير إبلا الحضاري في قلب أوروبا وكذلك في أسماء عائلاتنا يوجد عائلة شاباش بإدلب ونقول حين يكبر الولد صار شاب أو شبشب وفيها نفس المعنى بل إن أصل هذه الكلمة من اسم هذه الآلهة ، كما أننا في

الأفراح مازلنا نردد شاباش دون أن ندري من أين أتت أو معناها.. بل هي قول أخذناه عن أسلافنا في إبلا وأوغاريت، وتعني أشرقت نفوسنا وشمست !

ومن الربات الممجدات في إبلا (**كورا**) إله القسم مازال محفوظاً في عدة قرى كورين – كوارو في محافظة إدلب وفي عائلات كوراني والكور ... بل إن المسلمين حين فتحوا هذه البلاد ، قسموها إدارياً الى كورة معرة مصرين – كورة سرمين – كورة مرتحوان[٩]...

وتعني نفس المعنى لاسم هذه الآلهة .. ومن الطريف ان اسم **كورا** موجود أيضاً في الثقافة الإغريقية القديمة Agora(**أكورا**)=ساحة وسط المدينة فيها المعنى ذاته. وهناك الكثير من الأسماء الأوروبية لو بحثنا عن جذورها لوجدناها في الشرق ، وهذا له بحث آخر، لكن نعطي مثالاً بسيطاً حتى الآن لغة التخاطب الدبلوماسي بين الرجل والمرأة في كثير من لغات أوروبا كلمة دُمنول= سيد، دومنا = سيدة **وجوليا دومنا** التي حكمت في روما هي وأولادها والتي روت قصتها كتب التاريخ قد جاء اسمها من إبلا وهي في أصلها سوريه ... فالاله دامو أو أداما أحد آلهتها والحامي للأسرة المالكة . وحتى الآن نردد هذا الاسم في لعبة الشطرنج ضاما – داما ونقول دون أن ندري الأصل هي لعبة الملوك ، وهي حقا كذلك في أصل اسمها الإبلائي كآلهة حامية للملوك . وكذلك نقول (دامة صوف) وفي اسم عائلة قره دامور في محافظة إدلب . وفي قرية بداما في منطقة الجسر وفي اللاذقية ولقب عثماني أيضاً يدعى داما. بل لا أخشى القول قد يكون أصل اسم دمشق قد جاء من اسم هذا الإله في إبلا. وبعد الأكل تقول (**دايمي**) وتعني الشكر للإله دامو بمعنى الحمد لله وليس دائماً وأما الإله إيل فهو إله السماء ... ومازلنا نردد أغنية نجاح سلام هنا وفي لبنان أيلك أيولي وقد استمدت من تراثنا الشعبي وكثير من القرى والمدن في الشمال السوري فيها هذا الاسم.

أما الإله **زوينو** إله القمر ما زال هذا الاسم محفوظاً في أسماء العائلات زينو وزين وفي اسم زين الدين = قمر الدين وقد تكون أكلة قمر الدين في أصلها أكلة إبلائية **!** وفي اهازيجنا نردد **"** زين زين مكحول العين **!"** وتعني أن عريسنا جميل اليوم كالقمر فتاملوا ألسنا نعيش أنماط ثقافة حضارتنا القديمة حتى الآن**!**



تمثال جوليا دومنا-ق٣م

[٩] –أسماء قرى فتحها المسلمون بجوار ادلب

وآخر مثال حتى لانطيل عليكم بضرب الأمثلة اسم بلدة جرابلس شرق شمال حلب اسمها القديم **كركميش** وتعني ميناء أو سوق ، والاله **كاميش** في إبلا عرف باسم عيد كاميش ، والعيد يتم بشكل أكبر في سوق المدينة ! إذن هو المعنى ذاته يعيش بين بلداتنا وحفلاتنا وطقوسنا لا أستطيع التوقف فالقلم يدفعني لذكر الآلهة المؤنثة بعلتو = سيدة وهي مؤنث من بعل ومازلنا نردد عن زوجتي بعلتي = سيدتي وعن الأرض غير المسقية أرض بعل وهي في أصلها بحاجة إلى تزاوج السماء معها لتعطيها الأمطار فيحصل الخصب والنماء . ومن المدن بعلبك الأثرية في لبنان جاء اسمها من إبلا . الإله حوم = إله الحكمة والنبع من الماء العذب وتعني حياة حي وهذا الاسم مازال محفوظاً في موقع قرية كفرحوم وقرية كفر حايا في محافظة إدلب وغيرها كثير في القطر وفي لهجتنا الدارجة (هالولد عمال بيحوم - اشبك عمال تحوم كل يوم) أي يتجول هنا وهناك وتجواله هذا يعني الحياة أو اثبات وجوده كالماء المتحرك !

أقولها ولا أخشى إنك يا إبلا أبي وأمي إنك أصلي الحضاري، وقبل وداع إبلا لغة ومعتقداً نقدم لكم (صلاة إبلائية) سبقت (أخناتون المصري في التوحيد نحو ١٣٥٤ق.م) كما تعلمنا في المدرسة وهي ترقى إلى ألف عام قبله :

ربَّ السماوات والأرضين

إن الأرض لم تكن (موجودة) وأنت خلقتها ،

إن نور النهار لم يكن (موجوداً) وأنت خلقته

لم يكن نور الصباح قد أمرت بخلقه بعد .

أيها الرب (أنت) الكلمة الفاعلة

أيها الرب (أنت) البطولة [أفضل ترجمتها القوة]

أيها الرب (أنت) الذي لا يمل

أيها الرب (أنت) الذي ينجيّ

أيها الرب (أنت) الحياة السعيدة الأبدية

في هذه الصلاة نجد مفهوم التوحيد، وأسماء الله الحسنى قبل كافة الديانات القديمة المعروفة في المنطقة.

لننتقل الآن إلى جو آخر إلى **الأعراس** في حضارتنا القديمة ، وجوهر عاداتها مازال راسخاً في حياتنا الاجتماعية فإلى الآن نقدم الولائم والهدايا في هذه المناسبة ، ففي وثائق إبلا يعتذر أحد الولاة حين حضر للمباركة بزواج ابنة الملك عن عدم تقديمه الهدية المناسبة على أن يقدمها له في العام القادم وعادة المهر عندنا لها أصولها عندهم ، فعرس كيشدوت أخت ملك إبلا التي زفت إلى ملك كيش في بلاد مابين النهرين من مهرها :

٩٧٢ جاموس	١٨٦٠رأس غنم	فرس واحدة	١٩ ايلا
٧٦٨ ثور مسمن للذبح	٥ خنازير	٣٨٨ ثور لجر المحاريث	٢٤١ بقرة ولود
١٥٩ دابة من البغال محملة بالهدايا		١٤ دب	

ونظرة فاحصة الى هذا النقوط = الشاباش ، يعطينا بدلالة قاطعة غنى هذه المنطقة بالحيوانات ..

ويبدو أن شعب إبلا لم يكن راضياً عن هذا الزواج [لغربتها عنهم وطمع أحد أفراد الشعب بخطب ودها] ... لذلك حاول ملك كيش كسب رضى الطبقات الشعبية في الشمال ، فأرسل أخته زانيب دولوم = زينب دلال الى معبد نيداكول ، ولتصبح كاهنة فيه أي زواج بالمقايضة ... وهذه اشارة الى النفوذ الشعبي وقوة إبلا على غيرها وفي أعراس أخرى تحصل العروس على منسوجات وألبسة ومشابك من الذهب والفضة . وحين تلد إحداهن يرسل لها ألبسة ومشبك من الفضة وثوب لطفلها . ومازلنا حتى الآن نقدم هدية إما للأم أو الوليد ، ولم نحسم أيهما أحق بالهدية ... لأن أسلافنا الإبلائيين – الابلويين لم يحسموا هذا الأمر ، وتركونا حيارى في أيهما أحق بالهدية وقد يهدى لها مدنا إن كانت الزوجة أميرة من إبلا كالمرسوم الملكي الذي يذكر أن مدينة ايمار (مسكنه بالس) نهر الفرات ، قد أهديت إلى أحدى أميرات إبلا ، واعتبرت مهراً لزواجها كل هذا يشير إلى مكانة إبلا المتميزة في الشمال ، لتهدى مدينة ذات أهمية تاريخية لأميرة من أميراتها . و الفرس الواحدة هي للعروس ما زالت هذه العادة في تراثنا .

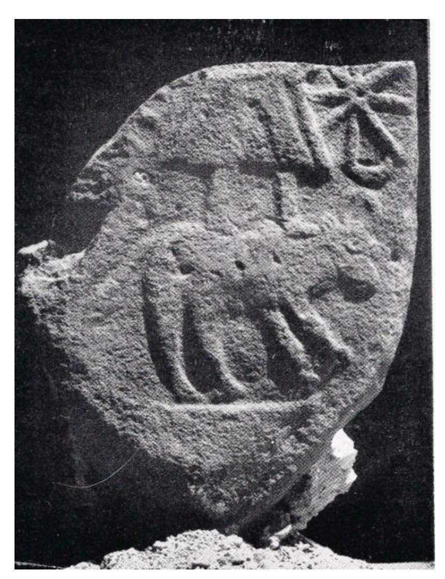
* *

سادساً- التراث الآرامي السرياني:

هناك حلقة غير مفقودة برأيي بين التراث الإبلائي – الأوغاريتي والآرامي إذ أنه امتداد له والذين أغنى هذه المنطقة في الألف الأولى قبل الميلاد بتراثه الثقافي وفنه المعماري ، وإن كان الآراميون موجودين في سوريا منذ القرن ١٥ ق. م . من ممالكهم **اجوشي** وعاصمتها **أرفاد** = تل رفعت الآن في شمال حلب والتي كانت تضم في وقتنا الحاضر مناطق عفرين – اعزاز – الباب – السفيرة – وجبل سمعان . وكذلك مملكتا آفس – وحزرك في محافظة إدلب اكتشف في النيرب جنوب حلب شاهدة قبر [هي في اللوفر الآن - فرنسا] فيها تلميح الى من يزيل هذا القبر ويعرض جسده للنقل الى مكان آخر ستلعنه الآلهة وتبيده وزرعه

[أهله ونسله] وإذا صان هذه الجثة فالآلهة أيضاً سيحموه ويصونوه ، مثل هذا التعبير وجدناه في الآثار الأخرى في العهد البيزنطي أي بعد أكثر من ألف عام – ولاحاجة لعرض الأمثلة فهذا له موضوع آخر – بل كذلك في الآثار الإسلامية ما زالت هذه اللعنة في نبش القبور وكثير من المواقع المتأخرة في العهد العثماني استخدمت هذا النمط الثقافي ليس في القبور ، بل حتى في الخانات والمنشآت الاجتماعية .

وأما لهجتنا العامية الدارجة من درس اللغة الآرامية سيقول هي في أصلها آرامية بحدود ٧٥ % عربية آرامية ولكن أرجح بحدود ٣٠ % إبلائية ٣٥%



نصب الإله حدد واقفاً على الثور
وأمامه الشمس والقمر-متحف حلب

آرامية والأكادية كامتداد للإبلائية ٢٠ % كنعانية و ١٥ % من لهجات أخرى أيضاً عربية قديمة .

ومن المفردات الآرامية التي مازلنا نردد معاً معظم أدوات الفلاحة والمصطلحات الزراعية – والسريانية هي رديف بل هي الآرامية بذاتها

سرياني	عربي	سرياني	عربي
منيح	حسن	سكِرْ	أغلق الباب
مي	ماء	سحنة	هيئة
معس	عصر	سرد	غربل
مرطوط	رداء وفي المثل الحلبي شرطوط مرطوط اسمه قميص	ندر	النذر
		لبش	ثياب ومايتبعها
		سريجة	جوالق من خوص
مار – مارى	السيد – القديس	إمت	متى
مسكين	فقير – ضعيف	اتغندر	تبختر
مرمر	نغّص [أغنية فيروز مرمر زماني التراثية]	ابتلش	ابتلى آذى
		بز	ثدي أو حلمته
مدينة	بلدة	بعق	صرخ

مطمورة	مخبأة – كنز	برا	خارجا
معك	دلك عصر ويقال معك الغسيل	براني	خارجي
		جوا	داخلاً
نطر	حرس	جواني	داخل
ذكر	ذكر	جب	بئر
محبوك ة	مخلوطة	جرامة من	عظم واللحم
نطر	حرس	ذندل	ولى
ناطور	حارس	واوا	وجع ألم
ناقوس	جرس	زبون	مشتري
نبش	حفر	زفرة	مايطفو فوق القدرمن الأوساخ
سرياني	عربي	سرياني	عربي
نكش	حفر	نيشان	علامة رسمة
نقز	آلم	زرب	سال والمزريب معروف

ولو انتقلنا الى مملكة يمحاض – حلب في الألف الثاني ق . م والتي حكمت في الشمال السوري لوجدنا أهم إله فيها هدد إله القوة والمطر والعاصفة... وكان له فيها أكبر معبد، اكتشف مؤخراً في قلعة حلب.

نقول حتى الآن هد الحيط = حطمه بقوة وهدّني المرض = أضعفني كثيراً ومرتي هدتني = أتعبتني (و) نهدْ حيلي = ضعفت كثيراً والمثل المشهور " ما في بالميدان غير حديدان = أصلها ليس هناك أقوى من حدد إله القوة والاسم الشائع حداد للمهنة وللشخص وفي عائلات حديد – حداد – حيدان وعند رسم الحدود نقول هذا حدي وهذا حدك ، وكذلك كلمة هدنة تعني توقف القوة والعنف إذن نحن نردد مفاهيم وأنماط مقالة منذ آلاف السنين .

وفي مصطلحاتنا العامية نقول (ماحدا لحدا) وهي سريانية بالعربية حدا = أحد ونقول (شيل لبشك) أي خذ عفشك فهو ثقيل علي وشيل في أصلها إبلائية من الشقلة والتي نستعملها حتى الآن ولبش سريانية = ثياب وما يتبعها ونقول (لبيس يامو) = إلبس ياأمي و (وين رايح .. بدي كش الحمام) = أين ذاهب ... وكش = طير – زجر طرد.

وفي اللاذقية من أهم أنماطهم المثالية لهجتهم الدارجة والمتميزة عن غيرها فهي في أصولها كنعانية مثل عيّن = أنظر بينما نحن نلفظها شوف = أنظر وهكذا بامكاننا القول إن لغتنا الدارجة لو جمعناها مع بعض لكانت مزيجاً من حضارتنا الواحدة ، تفاعلت مع بعضها وشكلت اللغة العربية عبر العصور .

ونختم محاضرتنا بأنشودة شعبية في الأعراس نرددها ولا نفهم معناها مع أنها أصيلة في تراثنا الحضاري والكثير منا ينقلها ويسجلها دون تفسيرها بكل أسف :

ولك اله يساوى	يسهل ويوفق
دوص دوص	افرح وابتهج
مبروك [1] منيح	مرض وسار
هي بيبا[2] هي	هلهـــلة

لفظة هللويه = سبحوا ورتلوا

وتفسيرها العام :

فليوفقك الهي ، افرح وابتهج ، فانه قران نعم القران، أو لأنه زواج مرضٍ وسار يأأحباء هللوا وأما فرحتنا بالعريس صلي على (عيسى - محمد) زين – زين – مكحول العين – واللي يعادينا الله عليه ...) هنهونة أصلها هونايا = تهنئة.

قد وضحنا معنى أصل كلمة زين إنها من اسم الإله الإبلائي زوينو = القمر أي أن عريسنا حلو كالقمر . ولنا مداخلة نفخر بها واكتشفناها أيضاً أن اسم العراق قد جاء من إبلا فاسم احد ملوكها (ايراكدامو) ولو حللنا اسمه لوجدناه مركب من كلمتين " دامو " الثانية شرحناها ونعني المحمية من الآلهة (Blood دم). والأولى "ايراك " هي = عراق وتعني الأرض الخصبة أي الأرض المعطاء كالدم للجسد والمحمية من الآلهة. وقد يكون هذا الملك قد غزا تلك المنطقة فسميت باسمه دون أن ندري ، مما يدل على التأثير الحضاري لإبلا في بلاد الرافدين. إذن ألا تعتقدون معي الآن ، وتسرون كما سررت لكل هذا التوضيح حول الأنماط المثالية الحضارية والتي كونت شخصيتنا .... وتوضح لكم أصولها .

وقبل الختام أدعوا الله أن يساعدني في الزواج بـ إبلا ثانية.. فمن هي أقول لكم:

أن اسم إبلا = عبلاء = عبلة وتعني الشريط الضيق من الحجارة البيضاء، يحد أرضاً سمراء كما تنص عليه المعاجم العربية ... وهي في الواقع الجغرافي كذلك ... فالصخور في جنوبها وللشرق سوداء وفي غربها وشمالها بيضاء .. وفي ادبنا العربي قصة عنتر وعبلة معروفة هو أسمر وهي بيضاء . الاسم الأول موجود في حضارة الآراميين إذ كان عندهم ملك يدعى عترسمك (مملكة أجوش) وعبلة اسم إبلائي إذن عنتر الآرامي يريد الزواج من عبلة الإبلائية الأول أسمر والثانية بيضاء ، سبحان الله هما كانا كذلك وفي حضارتنا أيضاً وبنفس المعنى المفهوم، فهل هذا تزاوج حضاري حققه القدر كما حقق قدر عبلة لعنتر ... لكي أقول له دعها فأنا أحق بها ... لأنني حفيد هذه الحضارة المتمثلة في تراث مجتمعي الحي فوق هذه الأرض لقد كان أحد ملوك دمشق الآرامي (برهدد) وتعني ابن الاله هدد أي ابن القوة والجبروت ... وأنا أقول لكم دعوني أصل الى (بر) الأمان في نهاية البحث قبل أن يحل التعب بي و(بر) هنا تعني ابن فأنا كذلك، وحقاً ابن أصول حضارة الشمال السوري !

** **

[1] زواج ونقول مبروك للعروسين حتى الآن – جعى بوشنا اهتف واصرخ أو اهتفوا بقوة

[2] أصلها سريانية = يا أحباء

المراجع :

١- مجموعة من الباحثين : أضواء جديدة على تاريخ و آثار بلاد الشام دمشق ١٩٨٩
٢- د . علي القيم : امبراطورية إبلا دمشق ١٩٨٩
٣- ماتييه وغيره : إيبلا – عبلاء الصخرة البيضاء دمشق ١٩٨٤
٤- قوصرة – فايز : من إبلا إلى إدلب – حلب ٢٠٠٤
٥- مجلة عاديات حلب العدد ٧ – ٨ – ٩ – ١٠ جامعة حلب
٦- كلينغل – هورست : تاريخ سوريا السياسي دمشق ١٩٩٨
٧-أرشيف إبلا العام .
٨-الخازن – نسيب وهيبة: من الساميين إلى العرب. بيروت١٩٨٠م
٩- داود – أحمد يوسف: تاريخ سوريا القديم
١٠- أقدم ما عرف عن تاريخ حلب-   صبحي الصواف   -
١١-أيوب – برصوم: الأصول السريانية في أسماء المدن والقرى السورية وشرح معانيها. حلب ٢٠٠٠ م.
١٢-الحلو - عبد الله : تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استناداً للجغرافيين العرب. بيروت ١٩٩٩ م.
١٣-اسحق ساكا : السريان ايمان وحضارة ٤ أجزاء حلب ١٩٨٣ م الصواف.
١٤-اغناطيوس زكا الأول عيواص : كنيسة أنطاكية السريانية حلب ١٩٨١ م
١٥-عبد الهادي نصري : شمس آرام شمس العرب حلب ١٩٨٦
١٦-الزبيدي: تاج العروس في شرح القاموس- عدة مجلدات.
١٧-صبحي صواف : تاريخ حلب الجزء الأول قبل الإسلام – حلب ١٩٧٢ م
١٨-غريغوريوس صليبا شمعون : الممالك الآرامية حلب ١٩٨١ م
١٩-د فاروق اسماعيل : اللغة الآرامية القديمة حلب ١٩٩٧
٢٠-د.فيليب حتى:تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢ جزء بيروت ١٩٨٣
٢١– باولو ماتييه وغيره : مملكة إيبلا وعلاقاتها الدولية روما ١٩٨٣
٢٢- شيفمان : المجتمع السوري القديم دمشق ١٩٨٧ .
٢٣ – عيد مرعي إبلا: تاريخ وحضارة دمشق ١٩٩٦
24- Archi – Alfonso : The role of Women in Society of Ebla – Rome

وغيرهـــــا من المصادر والمراجـع والمجـــــلات

للمؤرخ فايز قوصرة/ سورية-ادلب /أصلها محاضرة ثبتت في كتابنا (أضواء جديدة في تاريخنا الأثري)